ويرى الباحث صواب رأي المحدثين الذي ذكره إبراهيم أنيس في تسمية الأفعال من حيث وظيفتها في الكلام الى أفعال اختيارية و أفعال إجبارية .

٦. إن النحاة قد اختلفوا في تسمية الافعال الناقصة ، أو النواسخ ، أو كان واخواتها ، ولذلك اتفق مع تسمية المخزومي افعال الوجود ، و الأخذ بهذه التسمية في المناهج الدراسية . واتفق معه بان الجامع لهذه الأفعال هو القول بالعمل و لما كان العمل هو الفيصل في دراسة النحو عند النحاة اذ في ضوئه تجمع الموضوعات أو تفرق فقد جمعت هذه الافعال في باب و احد حيث انها جميعاً ترفع الاسم و تنصب الخبر لذلك جمعت في باب واحد (كان و اخواتها) مع ان ما يفرقها اكثر مما يجمعها. و يرى الباحث دمج باب (كان وكاد) الى باب المفعول به بوصفها أفعالاً تامة ، ومرفوعها فاعل ومنصوبها حال أو مفعول على وفق نوع الفعل من حيث التعدي واللزوم .

جامعة الكوفة / كلية الآداب

قسم اللغة العربية

أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني

أطـروحـــة قـدمهـــا إلى

مجلـس كليـــة الآداب فــي جامعـــة الكوفـــة

محمد عامر محمد

وهي جــزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه

في فلسفة اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ

الدكتور علي كاظم أسد

١٤٣٢ هـ ٢٠١١ م

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، وأنزل عليه كتابا معجزا ، قرآنا عربيا غير ذي عوجا ، أنزله بحسب المصالح منجما ، وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة مختتما ، وأوحاه متشابها ومحكما ، ومزاياه ظاهرة باهرة في كل وجه وكل زمان.

أما بعد ، فقد وصف العلماء العاملين القرآن الكريم بالبضاعة الزاكية ، فإذا رزقها إنسان يدبرها في يده ، ويحسن التجارة في معانيها وألفاظها ، فإنه يستغني بها عن غيرها . وما ذلك شيئا يرزقه كل أحد . فكم في الناس من حافظ للقرآن عالم بتفسيره ، ولكنه في استعماله كالتاجر الجبان ، والذي لا يركب برا ولا بحرا ، وليس يُسْره منه على هذه الحال إلا عُسْرا . ورغبة مني في التزود من هذه البضاعة ، وحسن التجارة في معانيها وألفاظها ، وعظة وعبرة لقوله تعالى : **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ))** سورة الصف :١٠ ، كنت أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقني النظر في هذه البضاعة والتبضع منها ، والتدبر لها يمينا وشمالا ، وكنت حريصا على شرائها ، ولكن حال دون رغبتي قلة ذات اليد من العلم والمعرفة . وأشكر الله أن قد منّ عليّ عند أكمالي للسنة التحضيرية في مرحلة الدكتوراه أن اقترح علي الأستاذ الدكتور علي كاظم أسد – حفظه الله – أن أكتب في (علم المناسبة) فقرة بذلك عيني واستحضرت نفسي قوله تعالى : **((فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ))** سورة القصص : ١٣ . ومما عزز من ثقتي بنفسي في الخوض بهذا العلم أهميته المتأتية من :

١- أن الآمة الإسلامية تعيش هجمة عنيفة على اعتقادها وفكرها ، وتمسكها بالقرآن الكريم ، ونسمع بين الحيين والحين دعوات من الملحدين والمتطرفين إلى إحراق القرآن الكريم ؛ ولأن علم المناسبة هو علم يعنى بالكشف عن الترابط اللفظي والمعنوي بين آي وسور الذكر الحكيم ، ويبين أن القرآن الكريم يشكل وحدة نسقية ، فهو بناء فكري ولغوي متكامل وشامل ومستقل بذاته ، كان هذا حافزا قويا للخوض في دراسة هذا العلم .

٢- أن الفكر العربي في عصرنا يشهد قراءات نقدية أو حداثوية لتطويع القرآن وفق رؤاها ومناهجها ، وبما يخدم هذه الرؤى والمناهج ، وقد تنبه المفسرون وعلماء القرآن إلى ذلك من قبل ، وعملوا على إعمال هذه الأداة التفسيرية – علم المناسبة – لاستنباط مراد الله تعالى من الخطاب القرآني . وبقي حاضرا في أذهانهم أن القرآن الكريم لا يمكن فهمه باجتزاء النص القرآني عن سياقه اللغوي ، بل لا بد من استحضار ما قبل النص وما بعده إذا أردنا أن ندرك مراد الله تعالى من الخطاب القرآني بطريقة علمية و موضوعية . فالقرآن الكريم لا يمكن فهم إحدى جزئياته إلا في إطاره الكلي .

٣- وأن خطورة القضايا التي طرحها المشككون في قدسية القرآن الكريم ، أوعز ونبه العلماء إلى التأكيد على ما تعرض له علم المناسبة من الإهمال ، ولفتوا الأنظار إلى أنه يحتوي على لطائف وأسرار ، حتى أن بعضهم يئس من طلاب العلم والعلماء الذين أعرضوا جملة وتفصيلا عن هذا العلم الجليل .

وكان بعد التوكل على الله عملي في هذه الأطروحة أن سلكت في دراسة علم المناسبة دراسة قائمة على جمع المادة العلمية اللازمة لمثل هذه الدراسة ، واستخدام المنهج التحليلي والوصفي أثناء دراسة النصوص ، ومحاولة قراءة ما بين السطور ، بقصد الوصول إلى مكامن النص وأغواره . وكانت أقسام الدراسة على النحو الآتي :

المقدمة : بين فيها الباحث سبب اختياره للموضوع ، وأهميته ، ثم عرض للخطة التي سار عليها في دراسة علم المناسبة .

التمهيد : بين فيه الباحث نشأة علم المناسبة وتطوره ، من حيث أوليات هذا العلم والاهتمام به ، والربط بين بداية هذا العلم ، وبداية أغلب العلوم التي كانت نتاج الدرس القرآني كبداية علم النحو مثلا التي كانت نتيجة خطأ أحد الأعراب في قراءة آية من القرآن الكريم ، وكان هذا الخطأ في الحركة الإعرابية ، بداية الدرس النحوي . وكان الخطأ الذي وقع فيه الأعرابي في قراءة الآية القرآنية بداية علم المناسبة ، وكان الخطأ في الوصول إلى المعنى الذي يربط بين مقطع الآية في النص القرآني ، وفاصلتها بداية درس المناسبة .

وتطور ذلك بعدُ إلى السؤال عن الاختلاف في السياق بين الآيات المشتركة في سياق واحد مع اختلافها في الألفاظ أو في التقديم والتأخير أو في التطويل والإيجاز . ومن ثم محاولة وضع الكتاب الأول في هذا العلم ، وتوسعه إلى نطاق النص القرآني ككل ، وذلك بين آياته المتتابعة ، وبين سوره .

الفصل الأول : المناسبة بين جزئيات الآية : تحدث الباحث عن الفاصلة في القرآن ودورها في الحفاظ على تماسك الآية القرآنية ، وبيّن علاقة هذه الفاصلة بالسياق الذي ورد ت فيه ، من حيث تناسب المطلع والمقطع للفاصلة . وأشار الباحث إلى ما قد يُشكل من الفواصل ويصبح مثار تساؤل ، لماذا ختمت هذه الآية بكذا ولم تختم بكذا ؟ وبيان طريقة العلماء في تدبر هذا النوع .

الفصل الثاني : المناسبة بين الآيات : تحدث الباحث عن التشابه والاختلاف بين السياقات القرآنية الواردة في الآيات ، والجامع بينها ، فقد ترتبط الآية القرآنية بلفظ يولد علاقة بما تقدمها من الآيات . وقد ترتبط بتركيب يتعلق بما تقدمه في الآية السابقة ، وهناك علاقة بين التقديم والتأخير وما سبق الآية القرآنية من سياق . وقد ترتبط بالأسلوب الذي تجري عليه

السورة القرآنية ، فتتعانق الآيات في التطويل والإيجاز وعلاقة ذلك بالسياق العام للسورة بحيث ترتبط السورة بما تتضمنه السورة السابقة لها من الموضوعات ، ومما يؤدي نتيجة ذلك من قصر السورة أو طولها .

الفصل الثالث : المناسبة بين السور : تحدث الباحث عن الترتيب الشكلي بين السور من حيث علاقة السورة وارتباطها بما تقدمها ، بحيث تبدأ السورة اللاحقة بما ختمت به السورة السابقة ، ويكون هذا من أوكد علاقات الربط الشكلية التي تجعل النص القرآني كالكلمة الواحدة ، ويبرهن على تعانق السور القرآنية واتحادها . ومن ثم الإشارة إلى أهمية الترتيب المضموني في اتحاد السور فيما بينها . وبيان علاقة مقاصد وأغراض السورة السابقة بمقاصد وأغراض السورة اللاحقة ، بحيث تكون السورة المتقدمة مجملة لموضوعات محددة وتأتي السورة اللاحقة مفصلة في هذا الإجمال ، أو قد تشترك السورتين في الأحكام والتشريعات ، وتأتي السورة اللاحقة متممه ومبينة لها ، أو تشترك في بيان القصص القرآنية وتكون السورة اللاحقة متممة للقصص الواردة فيما سبقها .

<u>التمهيد : علم المناسبة نشأته وتطوره :</u>

المناسبة في اللغة : المقاربة والمشاكلة [١] ، وقال ابن فارس : ((النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء)) [٢]. وفي اصطلاح المفسرين : علم تعرف منه علل

---

[١] - ينظر : القاموس المحيط ١ / ١٣٠ – ١٣١

[٢] - مقاييس اللغة ٥ / ٤٢٣ – ٤٢٤

ترتيب أجزاء القرآن [١]. ويكون مرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص ، عقلي أو حسي أو خيالي ، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني ، كالسبب ، والعلة ، والمعلول ، والنظيرين والضدين ونحوه [٢].

وقد ظهرت بوادر العناية بالمناسبة أول ما ظهرت بشكل تنبيهات بلاغية تنبه لها بعض الأعراب ، من خلال ربطه بين سياق الآية وما يتناوله مقطعها وعلاقته بخاتمتها . وقد نقل أبو القاسم الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) في تفسيره لقوله تعالى : **((فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))** سورة البقرة: ٢٠٩ ، ((روي أن قارئا قرأ (غفور رحيم) ، فسمعه أعرابي فأنكره ، ولم يقرأ القرآن ، وقال : إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم ، لا يذكر الغفران عند الزلل ؛ لأنه إغراء عليه)) [٣]. ونقل فخر الدين الرازي (ت ٦٠٤ هـ) عند تفسيره لقوله تعالى : **((وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))** سورة المائدة : ٣٨ : ((قال الأصمعي كنت أقرأ سورة المائدة ومعي أعرابي ، فقرأت هذه الآية ، فقلت : (والله غفور رحيم) سهوا ، فقال الأعرابي : كلام من هذا ؟ فقلت كلام الله . قال : أعد ، فأعدت : (والله غفور رحيم) ، ثم تنبهت فقلت : **((والله عزيز حكيم))**، فقال : الآن أصبت ، فقلت : كيف عرفت ؟ قال : يا هذا عزيز حكيم فأمر بالقطع فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع)) [٤].

ونقل البقاعي : ((روى عبد الرزاق عن ابن عيينة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : قال ابن مسعود (رضي الله عنه) : إذا سأل أحدكم صاحبه كيف يقرأ آية كذا وكذا ، فليسله عما قبلها . يريد – والله أعلم – أنّ ما قبلها يدله على تحرير لفظها ، بما تدعو إليه المناسبة)) [٥].

والمناسبة التي بحثها المفسرون وبعض علماء البلاغة هي تنامي لما قاله الأعرابي ، الذي ربط بين الآية وآخرها . وقد لقي هذا الضرب من فواصل الآيات القرآنية عناية خاصة في أبواب من البلاغة يشملها (باب المناسبة) ، أو باب (مراعاة النظير) . ونلحظ أن ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤ هـ) ترجم في كتابه (بديع القرآن) لباب المناسبة وقال : ((هي على ضربين : مناسبة في المعاني ، ومناسبة في الألفاظ ، فالمعنوية : هي أن يبتدئ المتكلم بمعنى ، ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ)) [٦]. ومثل لذلك في قوله تعالى : **((لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ))** سورة الأنعام : ١٠٣ ، وبين المناسبة بقوله

---

[١] - نظم الدرر ١ / ٦
[٢] - البرهان في علوم القرآن ١ / ٤١
[٣] - الكشاف ١ / ٢٨٠
[٤] - التفسير الكبير ١١ / ٢٣٦
[٥] - مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ١ / ١٥٤
[٦] - بديع القرآن ١٤٥

: ((فإن معنى نفي إدراك الأبصار للشيء يناسب اللطف ، وهذا الكلام خرج مخرج التمثيل ؛ لأن المعهود عند المخاطب أن البصر لا يدرك الأجسام اللطيفة ، كالهواء وسائر العناصر ، ولا الجواهر المفردة ، وإنما يدرك اللون من كل متلون ، والكون من كل متكون ، فجاء هذا التمثيل ليتخيله السامع فيقيس به الغائب على الشاهد ، وكذلك قوله تعالى : **((وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ))** ، فإن ذلك يناسبه وصف المدرك بالخبرة ، فإن سبحانه لما أثبت له إدراك الأبصار : أي ألباب الأبصار التي نفى عنها إدراكه تكميلا للتمدح حسب ما اقتضته البلاغة من تصحيح معنى التمدح ، واحتراسا ممن يظن أنه إذا لم يكن مدركا لم يكن موجودا .. فتضمنت على ذلك الفاصلة معنى زائدا على معنى الكلام وصفت لأجله بالإيغال ، وهو إيغال متمم لمعنى التمدح)) [١].

وعرّف ابن أبي الإصبع المناسبة اللفظية : ((هي عبارة عن الإتيان بلفظات متزنات مقفاة وغير مقفاة ، فالمقفاة مع الاتزان مناسبة تامة ، والمتزنة من غير التقفية مناسبة ناقصة)) [٢]. ومثل للمناسبة اللفظية الناقصة بقوله تعالى : **((ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ . بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ))** سورة ق : ١،٢ . ومثل للمناسبة اللفظية التامة بقوله تعالى : **((ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ . مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ . وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ))** سورة القلم : ١ – ٣ .

وأما في باب (مراعاة النظير) في البلاغة ، فقد عرفها يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) : ((وهي عبارة عن الجمع بين المتشابهات)) [٣]. وقال عنها شرف الدين الطيبي (ت ٧٣٤ هـ): ((ويسمى التناسب والائتلاف : وهي أن تجمع بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد وهي أصناف : الأول : ائتلاف اللفظ والمعنى .. والثاني: ائتلاف اللفظ مع اللفظ ، وهو أن يكون في الكلام معنى يصح معه معان فيختار منها ما بين لفظة وبين لفظ ذلك المعنى ائتلاف بحسب أسباب مؤدية إلى تقارنهما .. والثالث : ائتلاف المعنى مع المعنى)) [٤]. والذي يهمنا من هذه الأصناف الصنف الثالث وهو قسمان : ((أحدهما أن يشمل الكلام على معنى يصح معه معنيان أحدهما ملائم بحسب نظر دقيق ، والآخر ليس كذلك فيقرن بالملائم)) [٥]. ومثل لذلك بقوله تعالى : **((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))** سورة البقرة : ٥٤ ، وقال : ((ناسبت هذه التوبة لفظ البارئ دون غيره من الأسماء؛ لأن الباري هو الذي خلقهم أبرياء من التفاوت وهي نعمة جسمية ، وكان من حق الشكر أن يخصوه بالعبادة ، فلما

---

[١] - بديع القرآن ١٤٦
[٢] - بديع القرآن ١٤٩
[٣] - مفتاح العلوم ٤٢٤
[٤] - التبيان في البيان ٢٠٠ – ٢٠٢
[٥] - التبيان في البيان ٢٠٢

عكسوا وقابلوها بالكفران حيث عبدوا ما لا تمييز له أصلا استرد منهم تلك النعمة بالقتل والانفكاك)) [١].

ومن هذا الباب قسم أسماه السيوطي (ت ٩١١ هـ) تشابه الأطراف : ((وهو أن يختم الكلام بما يناسب ابتداءه في المعنى)) [٢]. ومن خفي هذا القسم قوله تعالى : **((إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))** سورة المائدة : ١١٨ ، و قال شرف الدين الطيبي : ((فقوله : ((**وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ**)) يوهم أن الفاصلة الغفور الرحيم ، لكن المناسب أن لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه ، ومن يعلم الحكمة فيما يفعله ، وإن خفيت على غيره))[٣].

أما القسم الثاني من تشابه الأطراف ، كما ذكره السيوطي وهو : ((أن يكون للمعنى وصفان ملائمان فيختار الأحسن)) [٤]. ومثل له بقوله تعالى : **((إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى . وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى))** سورة طه: ١١٨ ، ١١٩ ، وقال الطيبي : ((فإنه لم يراع فيه مناسبة الري للشبع والاستظلال للبس ، بل روعيت المناسبة بين اللبس والشبع في عدم الاستغناء عنهما وأنهما من أصول النعم ، وبين الاستظلال والري في كونهما تابعين لهما ومكملين لمنافعهما ، وهذا ادخل في الامتنان لما في تقديم أصول النعم وارتداف التوابع من الاستيعاب)) [٥].

وفصل ما ورد في بلاغة الفاصلة في القرآن الكريم علماء علوم القرآن في نوع خاص هو ((معرفة الفواصل ورؤوس الآي)) [٦] . وقال بدر الدين محمد الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) في هذا النوع من المناسبة : ((اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره ، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله ، فلابد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أو لا؛ وإلا خرج بعض الكلام عن بعض ، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك ، لكن منه ما يظهر، ومنه ما يستخرج بالتأمل للبيب. وهي منحصرة في أربعة أشياء : التمكين ، والتوشيح، والإيغال ، والتصدير))[٧]. وتلك السمات البلاغية في الفاصلة القرآنية تتمثل عند الزركشي في هذه الأربعة أشياء السابقة، وكلها تنصب حول تطلب السابق لفظ الآية أو مضمونها لخاتمة خاصة توافقها ، وأسوق فيما يأتي تعريفا ومثالا لكل سمة من السمات البلاغية التي ذكرها الزركشي .

---

[١] - التبيان في البيان ٢٠٢
[٢] - التحبير في علم التفسير ٢٨٩
[٣] - التبيان في البيان ٢٠٢
[٤] - التبيان في البيان ٢٠٣
[٥] - التبيان في البيان ٢٠٤
[٦] - البرهان في علوم القرآن ١ / ٥٢ وما بعدها
[٧] - البرهان في علوم القرآن ١ / ٦٩

أولا : التمكين : ((وهو أن تمهد قبلها تمهيدا تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها ، ومستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضعها ، غير نافرة ولا قلقة ، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم)) [١]. ومثل للتمكين بقوله تعالى: **((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ . لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ . أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ))** سورة الحج : ٦٣ – ٦٥ ، ويقول الزركشي : ((إنما فصل الأولى بـ**(لطيف خبير)** ؛ لأن ذلك في موضع الرحمة لخلقه بإنزال الغيث وإخراج النبات من الأرض ؛ ولأنه خبير بنفعهم . وإنما فصل الثانية بـ**(غني حميد)** ؛ لأنه قال : ((**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**)) ، أي لا لحاجة ، بل هو غني عنهما ، جواد بهما ؛ لأنه ليس غني نافعا غناه إلا إذا جاد به ، وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليه ، واستحق عليه الحمد ، فذكر (الحمد) على أنه الغني النافع بغناه خلقه . وإنما فصل الثالثة بـ**(رؤوف رحيم)** ؛ لأنه لما عدد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير ما في الأرض لهم ، وإجراء الفلك في البحر لهم ، وتسييرهم في ذلك الهول العظيم ، وجعله السماء فوقهم وإمساكهم إياها عن الوقوع ، حسن ختامه بالرأفة والرحمة)) [٢]. ويقول أستاذنا الدكتور علي كاظم أسد في هذه الفواصل : ((جاءت الفاصلة الأولى نكرة (لطيف خبير) ، وجاءت الفاصلة الوسطى مؤكدة باللام ، وقبلها إنّ وضمير الفصل وتعريف الصفتين **(وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)** ، فضلا عن إيراده اسم العلم عليه سبحانه (الله) وليس الربّ علما أن الرب مناسب شكليا لإنزال الماء من السماء قبل هذه الآية . وجاءت الفاصلة الثالثة كذلك مؤكدة بـ(إنّ) ومخصصة صفة الرحمة والرأفة بالناس حصرا ، وباللام ولكن بدون تعريف . فأما الأولى (عندي) وبحسب نظري الضعيف أنَ إنزال المطر من السماء لاشك فيه ، فلا يحتاج إلى توكيد ولا تعريف . وأما الثانية فكثير ما شك الناس في ملكيته لله لما في السماوات والأرض ، وتصرفوا عكس هذا بل كفروا به ، فاحتاجت إلى هذا الكم من التوكيد ، وجاءت بصفة الإلوهية ؛ لأن الربوبية مكفور بها عند كثير من الناس . وأما الثالثة فأكدها ؛ لأن الناس لاهون لا يعلمون مدى قدرة الله في إمساك السماء ، فجاء بـ(الناس) حصرا ؛ لأنهم لا يظنون أبدا أن تقع السماء على الأرض ، ولكنهم على يقين من إمساك الله بها فلم يعرف الصفتين)) [٣].

---

[١] - البرهان في علوم القرآن ١ / ٦٩

[٢] - البرهان في علوم القرآن ١ / ٧٠ ، ٧١

[٣] - من مظاهر الدقة في الاستعمال القرآني ١٨ ، بحث مخطوط وغير منشور

ثانيا : التصدير : ما توافق فيه صدر الآية والفاصلة في اللفظ ، ومثل للتصدير بقوله تعالى : **((انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً))** سورة الإسراء:٢١ ، فقوله : **(فضلنا)** منه نتوقع أن تختم الآية بقوله : **(تفضيلا)** .

ثالثا : التوشيح : ((ويسمى به لكون نفس الكلام يدل على آخره ، نزّل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح ، اللذين يجول عليهما الوشاح ، ولهذا قيل فيه : إن الفاصلة تعلم قبل ذكرها)) [١]. ومثل للتوشيح بقوله تعالى : **((وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ))** سورة يس : ٣٧ ، وقال الزركشي : ((فإنه من كان حافظا لهذه السورة ، متيقظا إلى أن مقاطع فواصلها النون المردفة ، وسمع في صدر هذه الآية : ((**وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ**)) علم أن الفاصلة **((مُّظْلِمُونَ))** ، فإن من انسلخ النهار عن ليله أظلم ما دامت تلك الحال)) [٢].

رابعا : الإيغال : ((وسمي به لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذا فيه ، وبلغ إلى زيادة على الحد)) [٣]. ومثل للإيغال بقوله تعالى : **((إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ))** سورة النمل : ٨٠ ، وقال الزركشي : ((فإن المعنى قد تم بقوله : **((وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء))** ، ثم أراد أن يعلم تمام الكلام بالفاصلة فقال : **((وَلَّوْا مُدْبِرِينَ))** . فإن قيل : ما معنى **((مُدْبِرِينَ))** وقد أغنى عنها **((وَلَّوْا))** ؟ قلت : لا يغني عنها **((وَلَّوْا))** ، فإن التولي قد يكون بجانب دون جانب .. ولا شك أنه سبحانه لما أخبر عنهم أنهم صم لا يسمعون أراد تتميم المعنى بذكر توليهم في حال الخطاب ، لينفي عنهم الفهم الذي يحصل من الإشارة ، فإن الأصم يفهم بالإشارة ما يفهم السميع بالعبارة . ثم إن التولي قد يكون بجانب ، مع لحاظه بالجانب الآخر ، فيحصل به إدراك بعض الإشارة ، فجعل الفاصلة **((مُدْبِرِينَ))** ليعلم أن التولي كان بجميع الجوانب)) [٤].

وهذه المناسبة بين أول الآية وآخرها بلغ بها بعض المفسرين مبلغا تجاوز علاقة التناسب بين الآية وخاتمتها إلى العلاقة بين الآيات والسور فيما سمي (علم المناسبات) ، وفائدة هذا العلم ((جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير حاله حال البناء المحكم ، والمتلائم الأجزاء)) [٥]. ويكون الجعل في الذهن ؛ لأن واقع حال القرآن أنه كالبناء المحكم . وموضوع هذا العلم ((علم تعرف منه علل الترتيب ، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق

---

[١] - البرهان في علوم القرآن ١ / ٧٩
[٢] - البرهان في علوم القرآن ١ / ٧٩
[٣] - البرهان في علوم القرآن ١ / ٨٠
[٤] - البرهان في علوم القرآن ١ / ٨٠
[٥] - البرهان في علوم القرآن ١ / ٤١

الذي هو كلحمة النسب ، **فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه ، وهو سر البلاغة ، لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال**)) [١].

ويعد أبو مسلم الأصفهاني المعتزلي (ت ٣٢٢ هـ)[٢] في تفسيره (جامع التأويل) ، أول أشار إلى أهمية المناسبة ، وكان الفخر الرازي معجبا بتفسيره ، وقد امتدحه بقوله : ((وأبو مسلم حسن الكلام في التفسير كثير الغوص على الدقائق واللطائف)) [٣]. وهو من أهل أصفهان وولي أصفهان وبلاد فارس للمقتدر بالله العباسي ، واستمر إلى أن دخل علي بن بابويه أصفهان في منتصف ذي القعدة سنة ٣٢١ هـ فعزل عنها [٤].

وبيّن جامع التفسير الدكتور خضر محمد نبها ، منهج أبي مسلم الأصفهاني ، الذي يعتمد على (النظم) في بيان تعلق الآيات بعضها ببعض واهتمامه بالمناسبة بين الآيات في السورة الواحدة ، ففي سورة البقرة ربط أبو مسلم ما بين الآية في قوله تعالى : **((مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ))** سورة البقرة : ١٠٥ ، والآية في قوله تعالى : **((مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))** سورة البقرة : ١٠٦ ، والنظم بينهما : ((إنه سبحانه لما عاب اليهود بأشياء و رد عليهم ما راموا به الطعن في أمر نبينا (صلى الله عليه وآله وسلّم) و كان مما طعنوا فيه أنه يقول بنسخ كل شريعة تقدمت شريعته فبين الله سبحانه جواز ذلك)) [٥].

وفي سورة البقرة بين صلة قوله تعالى : **((لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))** سورة البقرة : ٢٨٤ ، بقوله تعالى : **((وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِباً فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ))** سورة البقرة : ٢٨٣ ، وفي كيفية النظم ، قال أبو مسلم : ((إنه تعالى لما قال في آخر الآية المتقدمة **((وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ))** سورة البقرة : ٢٨٣ ، ذكر عقيبه ما يجري مجرى الدليل العقلي فقال : **((لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاوَاتِ**

---

[١] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١ / ٥ ، ٦

[٢] - اسمه محمد بن علي بن بحر الأصفهاني ، من أصفهان ، معتزلي من كبار الكتاب ، كان عالما بالتفسير وبغيره من صنوف العلم ، له تفسير يسمى (جامع التأويل) جمع سعيد الأنصاري الهندي نصوصا منه وردت في (تفسير الفخر الرازي) وسماه (ملتقط جامع التأويل لمحكم التنزيل) ، وأعاد جمع تفسيره الدكتور خضر محمد نبها من تفسير فخر الدين الرازي ، وتفسير الطوسي ، وتفسير الطبرسي ، وما نقله ابن طاووس في كتاب سعد السعود ، وعن كتاب (تنزيه الأنبياء والأئمة) للشريف المرتضى ، ينظر : تفسير أبي مسلم الأصفهاني ٦

[٣] - التفسير الكبير ٨ / ٤٤

[٤] - ينظر : الوافي بالوفيات ٢ / ٢٤٤ ، ولسان الميزان ٥ / ٢٢ ، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١ / ٥٩ ، والفهرست ١٣٦ ، وكشف الظنون ٥٣٨ ، ومعجم المفسرين ٢ / ٤٩٨

[٥] - مجمع البيان ١ / ٣٢٤ ، وينظر : تفسير أبي مسلم الأصفهاني : ٤٥

وَمَا فِي الأَرْضِ)) ومعنى هذا الملك أن هذه الأشياء لما كانت محدثة فقد وجدت بتخليقه وتكوينه وإبداعه ، ومن كان فاعلا لهذه الأفعال المحكمة المتقنة العجيبة الغريبة المشتملة على الحكم المتكاثرة والمنافع العظيمة لا بد وأن يكون عالما بها إذ من المحال صدور الفعل المحكم المتقن عن الجاهل به ، فكان الله تعالى احتج بخلقه السموات والأرض مع ما فيها من وجوه الإحكام والإتقان على كونه تعالى عالما بها محيطا بأجزائها وجزئياتها))[١].

وقد نقل الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن) عن الشيخ أبي الحسن الشهرباني (ت ٦٧٢ هـ) قوله : ((أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ، ولم نكن سمعناه من غيره الإمام أبو بكر النيسابوري [٢] ، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب ، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية : لم جعلت هذه الآية جنب هذه ؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب السورة ؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة)) [٣] . وتحديد الشهرباني مدينة بغداد بالخصوص من وراءه قصد هو ((أن هناك من كان يلهج به في بلاد أخرى ، ولعل علماء بغداد حين نبههم النيسابوري إلى هذا العلم وعاب عليهم عدم علمهم به، بحثوا عنه ، وعمن تكلم فيه ، واهتم به وذهب إليه ، فتناهى إليهم من يتكلم به في وقتهم في تلك البلاد ، وقبل وقتهم أيضا ، فكانت عبارة الشهرباني التي تحصر أولية إظهار هذا العلم في بغداد في جهود النيسابوري)) [٤].

وأبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني الأشعري (ت ٤٠٣ هـ) له في كتابه (إعجاز القرآن) دراسة يبحث فيها عن المناسبة بين المعاني المختلفة في بعض آيات القرآن ، وتناول سورتي النمل وغافر ، ووقف فيهما عند مواطن التخلص من معنى إلى آخر ، وبين كيف يتم الانتقال من غرض إلى غرض بطريقة عجيبة يأتلف فيها المختلف ، وتندمج فيها المعاني المتنوعة ، قال في ذلك : ((تأمل السورة التي يذكر فيها النمل ، وانظر في كلمة كلمة ، وفصل فصل : بدأ بذكر السورة ، إلى أن بين أن القرآن من عنده .. ثم وصل بذلك قصة موسى (عليه السلام) ، وأنه رأى نارا ، فقال لأهله امكثوا : **((إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ))** سورة النمل : ٧)) [٥]. ثم بين طريقة القرآن في سرد قصة موسى في سورة طه في قوله تعالى : **((إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى))** سورة طه : ١٠ ، وفي سورة القصص في قوله

---

[١] - التفسير الكبير ٧ / ١٣٤ ، وينظر : تفسير أبي مسلم الأصفهاني ٧٦ – ٧٧

[٢] - هو عبد الله بن محمد بن زياد الحافظ النيسابوري ، وكان إمام عصره في الشافعية بالعراق توفي (٣٢٤ هـ) ، ينظر : سير أعلام النبلاء ١٥ / ٦٥ ، والوافي بالوفيات ١٧ / ٤٨٠

[٣] - البرهان في علوم القرآن ١ / ٣٦

[٤] - أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية ، بحث منشور في مجلة الأحمدي ، العدد ١١ ص (٢٠ – ٣٠)

[٥] - إعجاز القرآن ٢٨٧

تعالى : **((فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ))** سورة القصص : ٢٩، فقال : ((قد تصرف في وجوه ، وأتى بذكر القصة على ضروب ، ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك .. ليكون أبلغ في تعجيزهم ، وأظهر للحجة عليهم . وكل كلمة من هذه الكلمات ، وإن أنبأت عن قصة ، فهي بليغة بنفسها تامة في معناها)) [١].

وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠ هـ) ، دون دروسا أملاها في بيان المناسبة ، ونقلها تلميذه إبراهيم بن علي بن محمد المعروف بابن أبي الفرج الأردستاني وقال : ((أملاها لما خلا فيها ، ولم يحضره غيري ممن يسوغ له حمل ما يكتب فيه ، ويكتب به ، فكتبت عن لفظه المسائل والأجوبة)) [٢]. وسمى الإسكافي هذه الدروس (درة التنزيل وغرة التأويل) ومنهجه في بيان المناسبة أن يبدأ بعبارة : ((للسائل أن يسأل فيقول)) أو ((للسائل أن يسأل عن كذا)) أو نحو ذلك ، ويبدأ الإجابة غالبا بعبارة ((الجواب أن يقال))[٣]، ((الجواب عن ذلك أن يقال))[٤] ، ثم يأتي الجواب وفيه توجه المناسبة التي ورد فيها الاختلاف بين اللفظين أو التعبيرين . ولا يخفى أن المسائل المذكورة في هذا الكتاب هي من متعلقات العلم المسمى بـ(علم المتشابه من القرآن) وهو علم جليل الشأن له اتصال بعلم المناسبات ، وقال عنه السيوطي : ((**وهذا النوع يتداخل مع نوع المناسبات** ، وقد أفرده بالتصنيف جماعة أولهم فيما أحسب الكسائي ، ونظمه السخاوي ، وألف في توجيهه الكرماني كتابه البرهان في متشابه القرآن . وأحسن منه درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله الرازي وأحسن منها كلها ملاك التأويل في متشابه التنزيل لأبي جعفر بن الزبير . وللقاصي بدر الدين بن جماعة في ذلك كتاب لطيف سماه كشف المعاني عن متشابه المثاني . وفي كتابي أسرار التنزيل المسمى قطف الأزهار في كشف الأسرار من ذلك الجم الغفير)) [٥].

وعبد الله بن يوسف بن محمد الجويني النيسابوري (ت ٤٣٨ هـ)[٦] ، له تفسير ذكر فيه المناسبات ، ونقل عنه بيان وجه الاتصال بين قوله تعالى : **((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ))** سورة البقرة : ١١٤ ، وبين قوله تعالى : **((وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ))** سورة البقرة : ١١٥، ((قال الشيخ أبو

---

[١] - إعجاز القرآن ٢٨٨
[٢] - درة التنزيل وغرة التأويل ١ / ٢١٥
[٣] - درة التنزيل وغرة التأويل ١ / ٢٠١ ، ١ / ٢٥٧
[٤] - درة التنزيل وغرة التأويل ١ / ٤٧٧
[٥] - معترك الأقران في إعجاز القرآن ١ / ٦٦ ، ٦٧ وينظر : الإتقان في علوم القرآن ٥ / ١٨٦٦
[٦] - عبد الله بن يوسف الفقيه الشافعي والد إمام الحرمين (ت ٤٣٨ هـ) وتفسيره المذكور مخطوط ، ينظر : طبقات المفسرين ١/ ٢٥٣

محمد الجويني في تفسيره ، سمعت أبا الحسين الدهان يقول : وجه اتصالها هو أن ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق ، أي فلا يجرمنكم ذلك واستقبلوها ، فإن لله المشرق والمغرب))[١].

واستمر التأليف في علم المناسبة عن طريق السؤال والجواب عند تاج القراء محمود بن حمزة الكرماني (ت ٥٠٠ هـ) وذلك في كتاب سماه (غرائب التفسير وعجائب التأويل) ، وقال في خطبة هذا الكتاب : ((فإن أكثر العلماء والمتعلمين في زماننا يرغبون في غرائب تفسير القرآن وعجائب تأويله ويميلون إلى المشكلات المعضلات من أقاويله فجمعت في كتابي هذا منها ما أقدر أن فيه مقنعا لرغبتهم ومكتفى لطلبتهم)) [٢]. وذكر فيه تناسب السور وليس الآي ، مناسبة فواتح السور لخواتمها ، ففي سورة ص قال : ((بدأ السورة بالذكر وختمها بالذكر)) [٣]. وقال في سورة القلم : ((ختم السورة بذكر ما بدأ به))[٤]. وبين ارتباط أسماء السور لمقاصدها بقوله : ((وسميت هذه السور السبع (حم) على الاشتراك في الاسم لما بينهن من التشاكل الذي اختصت به ، وهو أن كل واحدة استفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب ، مع تقارب المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النظام)) [٥].

والكتاب الثاني سماه : (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان)، ويعتمد فيه على السياق في توجيه المناسبة ، وقال في مقدمته : ((هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن ، **وألفاظها متفقة** ، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم ، أو إبدال حرف مكان حرف ، أو غير ذلك مما يجب اختلافا بين الآيتين ، أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ، ولا نقصان ، وأبين ما السبب في تكرارها ، والفائدة في إعادتها، وما الموجب للزيادة والنقصان ، والتقديم والتأخير والإبدال ، وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى ، **وهل يصلح ما في هذه السورة مكان ما في السورة التي تشاكلها أم لا ؟**))[٦].

وأبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) يظهر اهتمامه بعلم المناسبة في تفسيره : (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) ، ويكون مرتبطا بدراسته للنظم ، ((النظم الذي هو أم إعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته أهم ما يجب على المفسر)) [٧] . وهو وإن لم يصرح بذكر المناسبة ، إلا أنه كان متبعا من تقدمه في صيغة السؤال والجواب في بيان وجه الارتباط بين آيات القرآن الكريم ((فهو وإن لم يستخدم

---

[١] - البرهان في علوم القرآن ١ / ٤٧
[٢] - غرائب التفسير وعجائب التأويل ١ / ٨٧
[٣] - غرائب التفسير وعجائب التأويل ٢ / ١٠٠٧
[٤] - غرائب التفسير وعجائب التأويل ٢ / ١٢٤٢
[٥] - غرائب التفسير وعجائب التأويل ٢ / ١٠٣٧
[٦] - البرهان في توجيه متشابه القرآن ١٩ – ٢٠
[٧] - الكشاف ٣ / ٦٤

كلمة المناسبة قط ، فإنه كان يستعمل صيغة استفهامية يعبر ما يتلوها **عن وعي بالترابط وكيفيته** ، ومن ذلك على سبيل المثال : قوله ((فإن قلت : من المأمور بقوله: (بشر) ، قلت)) .. وقد يتم ذلك بصيغة تقريرية كقوله ((وذلك))))[١]. وأشار الزمخشري إلى حسن نظم القرآن وترتيبه : ((**انظر إلى بلاغة هذا الكلام ، وحسن نظمه وترتيبه** ، ومكانة إضماده ، ورصانة تفسيره ، ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق))[٢]. ويرى أنه لا يجوز في القرآن التناقض ؛ ((لأن القرآن في حكم كلام واحد))[٣]. وقال في تفسير لقوله تعالى : **((وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ . وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون . فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ))** سورة الزمر : ٤٧- ٤٩ ، ((هذه الأسرار والنكت لا يبرزها إلا علم النظم ، وإلا بقيت محتجبة في أكمامها. وأما الآية الأولى فلم تقع مسببة ، **وما هي إلا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو**، كقولك : قام زيد وقعد عمرو . فإن قلت : من أي وجه وقعت مسببة ؟ والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم إليه ، بل هو مقتض لصدوفهم عنه . قلت : في هذا التسبب لطف ، وبيانه أنك تقول : زيد مؤمن بالله ، فإذا مسه ضر التجأ إليه ، فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ، ثم تقول : زيد كافر بالله ، فإذا مسه ضر التجأ إليه ، فتجيء بالفاء مجيئك به ثمة ، كأن الكافر حين التجأ إلى الله التجاء المؤمن إليه ، مقيم كفره مقام الإيمان ، ومجريه مجراه في جعله سببا في الالتجاء ، فأنت تحكي ما عكس فيه الكافر . ألا ترى أنك تقصد بهذا الكلام الإنكار والتعجب من فعله ؟))[٤].

وانتقل الاهتمام بعلم المناسبة كعلم مستقل إلى طور التأليف عند معاصر للزمخشري ، وهو أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٢ هـ) ، قال في كتابه (سراج المريدين)[٥]: ((ارتباط آي القرآن بعضها ببعض **حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم،** لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه ، فلما لم نجد له حملة ، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه ، وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه))[٦]. ورجح عبد الله بن محمد الصديق الغماري أن العالم الواحد هو النيسابوري : ((ولعله يقصد الشيخ أبا

---

[١] - لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ١٦٧
[٢] - الكشاف ٤ / ٤٧٧
[٣] - الكشاف ٤ / ١٣٨
[٤] - الكشاف ٥ / ٣١١ ، ٣١٢
[٥] - مخطوط ، وهو في الزهد والسلوك لخص فيه قواعد هذا العلم ، مع تحرير مسائله ، وابتعد فيه عن مسلك المتصوفة في شطحاتهم ، واعتمادهم على الأحاديث الموضوعة والضعيفة ، ينظر : كشف الظنون ٢ / ٩٨٤ ، ومقدمة (قانون التأويل) ١٤٠ – ١٤٣
[٦] - البرهان في علوم القرآن ١ / ٣٦

بكر النيسابوري ، **فإنه أول من أظهر علم المناسبة**)) [١]. ويعد ابن العربي أو من استعمل مصطلح (ارتباط الآي) للدلالة على المناسبة .

ويشير ابن العربي في (سراج المريدين) إلى كتاب له في (ترتيب آي القرآن) وهو في توجيه المناسبات، وقد ذكره في كتابه (الناسخ والمنسوخ) أثناء تصديره سورة الأنعام ، وقال : ((والأحكام فيها قليل ، لعارض بينا وجهه في (ترتيب آي القرآن) ، وهو كتاب أخفيناه بعد أن جمعناه ، لما رأينا فيه من علوه على أقدار أهل الزمان ، وأنه ليس له في هذه الأقطار حفي ، فوضعناه في سرب خفي)) [٢]. وفي النص السابق في (سراج المريدين) تصريح من ابن العربي بأن علم المناسبة علم مستقل ، وفيه دقائق وأسرار ، ووروده في هذا الكتاب جعل عبد المتعال الصعيدي يزعم أنه كتبه على طريقة المتصوفة فقال : ((ولعل ابن العربي اعتمد في ذلك على مثل ما يعتمد عليه الصوفية في تفسير القرآن من علوم باطنية والهامات خفية ، وإشارات دقيقة ، فأتى في ذلك العلم بما رأى أنه لا يمكن أن يفهمه الناس وضن به عليهم ، وهم معذورون في عدم إقبالهم على تلك الألغاز والرموز ، وابتعادهم عمن لا يخاطبهم بلغة العقول، بل بلغة بدأ عصرها بالأفول ، وانصرف الناس عنها إلى ما يفيدهم في هذه الحياة الدنيا))[٣]. ولبيان منهج ابن العربي في إيراد المناسبات ، ودفع ما زعمه الصعيدي ، ننقل ما ذكره الزركشي عنه في تفسيره لقوله تعالى : **((إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً))** سورة النساء : ٥٨ ، ((قال ابن العربي في تفسيره : وجه النظم أنه أخبر عن كتمان أهل الكتاب صفة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وقولهم : إن المشركين أهدى سبيلا ، فكان ذلك خيانة منهم ، فانجر الكلام إلى ذكر جميع الأمانات)) [٤]. وفي هذا النص نلحظ أن ابن العربي يبين مناسبة آية أداء الأمانات وعلاقتها بما سبقها بشكل مفهوم لا دخل لعبارات التصوف فيه، فضلا عن أن كتاب (ترتيب آي القرآن) ، لم يصل إلينا .

وفخر الدين الرازي الشافعي (ت ٦٠٦ هـ) اهتم بذكر مناسبات القرآن في تفسيره (مفاتح الغيب ، المسمى التفسير الكبير) ، ويعبر عن المناسبة بـ(الترتيب) ، ويرى أن كثيرا من النكات واللطائف تكمن في مثل هذه العلاقات بين السور والآيات ، وذكر في تفسيره لسورة البقرة: ((ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة ، وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه ، وشرف معانيه فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته . ولعل

---

[١] - جواهر البيان في تناسب سور القرآن ١٥
[٢] - الناسخ والمنسوخ ٢ / ٢١٠
[٣] - الأقوال الحسان في حسن نظم القرآن ٨ – ٩
[٤] - البرهان في علوم القرآن ١ / ٣٦

الذين قالوا أنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك ، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأمور)) [١]. وقد أدرك عظم هذا العلم فيقول : ((اعلم أن من آتاه الله قريحة ونصابا وافيا من العلوم الإلهية الكشفية عرف أنه لا ترتيب أحسن ولا أكمل من ترتيب آيات القرآن)) [٢]. ويقول في ربط الآيات الأولى من سورة آل عمران : ((فقد ظهر أنه لا يمكن أن يكون **كلام أقرب إلى الضبط** ، وإلى حسن الترتيب ، وجودة التأليف من هذا الكلام)) [٣]. مع تحفظنا على عبارته (أقرب إلى الضبط) ، التي فيها جرأة في الكلام على القرآن الكريم . واعتنى الرازي ببيان المناسبات بين أجزاء الآية الواحدة، وبين الآية والآية ، وبين الافتتاح والختام ، ويظهر تعرضه للوحدة الموضوعية في القرآن في أكثر من موضع حيث قال : ((إن القرآن كله كالسورة الواحدة لاتصال بعضه ببعض ، والدليل عليه أنه قد يذكر الشيء في سورة ثم يجيء جوابه في سورة أخرى ... إن القرآن كالسورة الواحدة في عدم التناقض)) [٤]. وقال الدكتور محمد حسين الذهبي في منهج الرازي في التفسير : ((وقد قرأت في هذا التفسير ، فوجدت أنه يمتاز بذكر المناسبات بين الآيات بعضها مع بعض ، وبين السور بعضها مع بعض ، وهو لا يكتفي بذكر مناسبة واحدة بل كثيرا ما يذكر أكثر من مناسبة)) [٥]. وقد أشار إلى مصطلح المناسبة عند تفسيره لآخر سورة المائدة ، ((مفتتح السورة من الشريعة ، ومختتمها بذكر كبرياء الله وجلاله وعزته ، وقدرته ، وذلك هو الوصول إلى مقام الحقيقة ، فما أحسن المناسبة بين ذلك المفتتح ، وهذا المختتم)) [٦].

ويربط الفخر الرازي بين آخر الآية والآية التي بعدها ، ويعد هذا من أسباب فصاحة الكلام في قوله تعالى : **((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ . الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ))** سورة فصلت : ٦ – ٧ ، ويقول : ((أنه تعالى أثبت الويل لمن كان موصوفا بصفات ثلاثة ... واحتج بعضهم على أن الامتناع من إيتاء الزكاة يوجب الكفر ... فلو لم يكن عدم إيتاء الزكاة كفرا لكان ذكره فيما بين الصفتين الموجبتين للكفر قبحا ؛ لأن الكلام إنما يكون فصيحا إذا كانت المناسبة مرعية بين أجزائه)) [٧].

والإمام أبو الحسن علي التجيني الحرالي المغربي (ت ٦٣٧ هـ) عنى في تفسيره (مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل) بذكر المناسبات وهو مما لا نظير له في ذلك،

---

[١] - التفسير الكبير ٧ / ١٢٨
[٢] - التفسير الكبير ٢٧ / ١٢٥
[٣] - التفسير الكبير ٧ : ١٦٩
[٤] - التفسير الكبير ٣٠ / ٢١٤
[٥] - التفسير والمفسرون ١ / ٢٠٩
[٦] - التفسير الكبير ١٢ / ١٤٧
[٧] - التفسير الكبير ٢٧ / ١٠١

وقال عنه البقاعي : ((وقد ذكرت أكثر هذا الكتاب في تضاعيف كتابي هذا معزوا إليه في مواضع تليق به ثم بعد وصولي إلى سورة الأنفال ملكت جزءا من تفسيره .. فرأيته عديم النظير ، وقد ذكرت فيه المناسبات ، وقد ذكرت ما أعجبني منها وعزوته إليه)) [١].

والعز بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ) أول من اعترض على التكلف في هذا العلم ، وقال : ((إن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ويتشبث بعضه ببعض لئلا يكون مقطعا مبترا ، وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمر متحد فيرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر ومن ربط ذلك فهو متكلف لما لم يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه ، فإن القرآن نزل على الرسول (عليه السلام) في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة ، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض إذ ليس يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضه ببعض مع اختلاف العلل والأسباب)) [٢]. ولكن بالرغم من وجود بعض التكلف في إيجاد المناسبات بين الآيات ، إلا أن ذلك ليس عذرا في رفض المناسبات المنطقية والمستحسنة والتي لا تكلف فيها . ولعل ما أوهم العز بن عبد السلام في قوله السابق نظرته إلى النصوص البشرية وهي : ((أحدها : أن الملوك يتصرفون في مدة ملكهم بتصرفات مختلفة متضادة وليس لأحد أن يربط بعض ذلك ببعض . والمثال الثاني : الحاكم يحكم في يومه بوقايع مختلفة وأحكام متضادة ، وليس لأحد أن يلتمس ربط أحكامه ببعض . المثال الثالث : أن المفتي يفتي في مدة عمره أو في يوم من أيامه أو في مجلس من مجالسه بأحكام مختلفة وليس لأحد أن يلتمس ربط بعض فتاويه ببعض . المثال الرابع : إن الإنسان يتصرف في خاصته بطلب أمور موافقة ومختلفة ومتضادة ، وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات ببعض))[٣]. وقد نقل الزركشي النص السابق وأضاف عليه عبارة (المناسبة علم حسن) [٤] ، ولم يذكرها العز بن عبد السلام في المصدر الذي أخذ منه الزركشي . ونقل السيوطي عن الزركشي مقولة العز وتصرف في العبارة كثيرا ، وقدم وأخر .

والعلامة ابن النقيب الحنفي (ت ٦٩٨ هـ) فإنه تصدى في تفسيره (التحرير والتحبير لأقول أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير) إلى ذكر المناسبات ، وقال عنه البقاعي : ((وبعد أن وصلت إلى سورة الكهف ذكر لي أن تفسير ابن النقيب الحنفي – وهو نحو ستين

---

[١] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١ / ٧
[٢] - الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ٢٢١
[٣] - الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ٢٢١
[٤] - البرهان في علوم القرآن ١ / ٤٢

مجلدا – يذكر فيه المناسبات ، وفي خزانة جامع الحاكم كثير منه ، فطلبت منه جزءا فرأيته كذلك بالنسبة إلى الآيات لا جملها وإلى القصص لا جميع آياتها)) [١] .

وأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) أفرد علم المناسبة بالتصنيف وألف فيه كتاب سماه : (البرهان في ترتيب سور القرآن) وقال فيه : ((لم أر في هذا الضرب الخاص – يعني علم المناسبة - شيئا لمن تقدم وغبر، وإنما ندر لبعضهم توجيه ارتباط آيات في مواضع مفترقات ، وذلك في الباب أوضح، ومجال الكلام فيه أفسح وأسرح ، وأما تعلق السور على ما ترتب في الإمام واتفق عليه الصحابة الأعلام فمما لم يتعرض له فيما أعلم ، ولا قرع أحد هذا الباب ممن تأخر أو تقدم)) [٢]. وقال البقاعي عن هذا الكتاب : ((هو لبيان مناسبة تعقيب السورة بالسورة فقط لا يتعرض فيه للآيات)) [٣].

وأيضا له كتاب سماه : (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل) ، وقد لفت فيه النظر إلى الارتباط بين الآيات والسياق ، وسلك في توجيه المناسبة بين الآيات مسلك دلالة السياق ، وقد أخذ بمنهج الخطيب الإسكافي في بيان المناسبة عن طريق السؤال والجواب ويذكر أن السبب هو الارتباط بالآية السابقة والسياق ، كما يلفت إلى المناسبة مع موضوع السورة ، وما يتكرر فيها من الألفاظ ، والصيغ، والمعاني التي تميز كل سورة عما سواها . وننقل ما ذكره في سورة فاطر : ((وأما سورة الملائكة ، وجعلهم رسلا أولي أجنحة ، وإمساكه السماوات والأرض أن تزولا ، أبين شيء وأوضحه ، وليس من هذه الأوصاف العلية بمناسب لغير موضعه كمناسبة موضعه الوارد فيه)) [٤]. وكثير ما يتردد عنده مصطلح المناسبة ومشتقاته .

وأبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) من المفسرين الذين أولوا عناية للمناسبة بين الآيات والسور في تفسيره (البحر المحيط) ، وقال في فاتحته : (أبتدئ أولا بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها .. ثم أشرع في تفسير الآية ذاكرا سبب نزولها إذا كان لها سبب ، ونسخها ، ومناسبتها وارتباطها بما قبلها)) [٥]. وقد استعمل لبيان الترابط المعنوي بين الآية والآية قوله : ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها)) [٦] ، ومن ثم يلهيها تلخيص لما سبق وتمهيد لما لحق كقوله تعالى : **((وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ))** سورة البقرة : ٢٣ ، قال في هذه الآية :((ومناسبة هذه الآية لما

---

[١] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١ / ٧
[٢] - البرهان في تناسب سور القرآن ٧١ ، ٧٢
[٣] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١ / ٥
[٤] - ملاك التأويل ١ / ١٥٨
[٥] - البحر المحيط ١ / ١٠٣
[٦] - البحر المحيط : ١ / ١٠٢ و ١٢٠ و ١٥٠

قبلها أنه لما احتج تعالى عليهم بما يثبت الوحدانية ، ويبطل الاشتراك ، وعرفهم أن من جعل لله شريكا فهو بمعزل من العلم والتمييز أخذ يحتج على من شك في النبوة بما يزيل شبهته ، وهو كون القرآن معجزة ، وبين لهم كيف يعلمون أنه من عند الله أم من عنده ، بأن يأتوا هم ومن يستعينون به بسورة من هذا، وهم الفصحاء البلغاء المجيدون حوك الكلام من النثار والنظام)) [١].

ولأبي حيان طريقة في بيان المناسبة يسير عليها في كل التفسير ، أشار إليها في أواخر سورة البقرة ، وهي إشارة حسنة في توجيه المناسبات ، حيث يربطها بطرائق العرب في كلامها ، ويقول في قوله تعالى : ((**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**)) سورة البقرة : ٢٨٥ ، ((وظهر بسبب النزول مناسبة هذه الآية لما قبلها . ولما كان مفتتح هذه السورة بذكر الكتاب المنزل ، وأنه هدى للمتقين الموصوفين بما وصفوا به من الإيمان بالغيب ، وبما أنزل إلى الرسول ، وإلى من قبله كان مختتمها أيضا موافقا لمفتتحها ، وقد تتبعت أوائل السور المطولة فوجدتها يناسبها أواخرها ، بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء ، وسأبين ذلك إن شاء الله في آخر كل سورة سورة ، وذلك من أبدع الفصاحة حيث يتلاقى آخر الكلام المفرط في الطول بأوله وهي عادة للعرب في كثير من نظمهم ، يكون أحدهم آخذا في شيء ثم يستطرد منه إلى شيء آخر، ثم إلى آخر هكذا طويلا ثم يعود إلى ما كان آخذا فيه أولا)) [٢].

وقال الشيخ ولي الله محمد بن أحمد الملوي المنفلوطي الشافعي (ت ٧٧٤ هـ) : وقد نعته الزركشي بأحد شيوخنا : ((قد وهم من قال : لا يطلب للآي الكريمة مناسبة ؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة ، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا ، وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا ، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون ، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف ، وحافظ القرآن العظيم لو استفتي في أحكام متعددة ، أو ناظر فيها ، أو أملاها لذكر آية كل حكم على ما سئل ، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى، ولا كما نزل مفرقا ، بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة . ومن المعجز البين أسلوبه ، ونظمه الباهر ... والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها ، أو مستقلة ، ثم المستقلة ،

---

[١] - البحر المحيط ١ / ٢٤٣
[٢] - البحر المحيط ٢ / ٣٧٨

ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له)) [١].

وقد ذكر هذا النص البقاعي وقال : ((ذكر ذلك في كلام منفرد على قوله تعالى : **((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ))** سورة الأنعام : ١٦٥ ، **((وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ))** سورة القصص :٥))[٢].

وبدر الدين بن محمد الزركشي الشافعي (ت ٧٩٤ هـ) جعل علم المناسبة النوع الثاني في كتابه (البرهان في علوم القرآن) وأسماه : (معرفة المناسبة بين الآيات) ودرس فيه آراء العلماء في علم المناسبة ، وذكر فيه أعلام علم المناسبة ، ومنهم الفخر الرازي وابن الزبير الغرناطي وابن العربي والنيسابوري ، وعز الدين بن عبد السلام ، وقد اقتصر في عنوان هذا النوع على المناسبات بين الآيات ، ونقل عن بعض الأئمة :((من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعا ، وهذا النوع يهمله بعض المفسرين أو كثير منهم وفوائده غزيرة)) [٣].

واستفاد في بيان علم المناسبة من بابين من أبواب البلاغة هما : حسن التخلص [٤]، وباب الاستطراد [٥]. ويعني بحسن التخلص : ((هو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينا هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره ، وجعل الأول سببا إليه ، فيكون بعضه آخذا برقاب بعض ، من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاما آخر ، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغا)) [٦]. وقد سبق وأن أنكر أبو العلاء محمد بن غانم (ت ٥٠٠ هـ)[٧] ، أن يكون في القرآن حسن التخلص ، وقال : ((ليس في القرآن الكريم منه شيء ، لما فيه من التكلف))[٨]. وسبب إنكاره : ((أن القرآن إنما وقع ردا على الاقتضاب الذي هو طريق العرب من الانتقال إلى غير ملائم)) [٩]. ورد على إنكاره ضياء الدين ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٧ هـ) وقال : ((وهذا القول فاسد ؛ لأن حقيقة التخلص إنما هي الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره بلطيفة تلائم بين الكلام الذي خرج منه ، والكلام الذي خرج إليه)) [١٠]، ودلل على ترابط القرآن ، وحسن التخلص فيه بآيات كثيرة [١١]، وكذلك ذكر الزركشي بعضا مما ذكره ابن الأثير وزاد عليه . والفرق بين الاستطراد

---

[١] - البرهان في علوم القرآن ١ / ٤٢ ، ٤٣
[٢] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١ / ٦
[٣] - البرهان في علوم القرآن ١ / ٤١
[٤] - البرهان في علوم القرآن ١ / ٤٦ وما بعدها
[٥] - البرهان في علوم القرآن ١ / ٥٠ وما بعدها
[٦] - المثل السائر ٣ / ١٢١
[٧] - أديب من أفاضل عصره ، اتصل بنظام الملك ومدحه ، له ديوان شعر ، ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٣٦٠
[٨] - البرهان في علوم القرآن ١ / ٤٦
[٩] - معترك الأقران في إعجاز القرآن ١ / ٤٧
[١٠] - المثل السائر ٣ / ١٢٨
[١١] - المثل السائر ٣ / ١٢٨ وما بعدها

وحسن التخلص كما قال السيوطي : ((الاستطراد من قصة إلى أخرى ، ثم العودة إلى الأولى وهو حقيقة الاستطراد ، وبه يفرق حسن التخلص، فإنه ليس فيه العود إلى المعنى المتخلص منه)) [١].

وقال الزركشي في الربط بين أحكام الأهلة وبين أحكام إتيان البيوت ، من خلال الاستطراد ، وذلك في قوله تعالى : **((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))** سورة البقرة : ١٨٩ ، ((إنه من باب الاستطراد ، لما ذكر أنها مواقيت للحج ، وكان هذا من أفعالهم في الحج)) [٢]. فأنه بعد قوله : **((وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا))** عاد إلى أحكام الحج.

وقال الزركشي في حسن التخلص في قوله تعالى : **((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ))** سورة الشعراء : ٦٩ ، ٧٠ ، إلى قوله تعالى : **((فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ))** سورة الشعراء : ١٠٢ ، ((فهذا تخلص من قصة إبراهيم وقومه إلى قوله هكذا ، وتمني الكفار في الدار الآخرة الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا بالرسل ، وهذا تخلص عجيب)) [٣]. فانه تعالى لم يعد إلى تفاصيل قصة إبراهيم .

وقد قلل البقاعي من شأن عمل الزركشي في المناسبة ، وقال : ((ذكر الزركشي نحو أربع ورقات من مناسبات بعض الآيات ، وإذا تأملها عظم عندك ما في هذا البحر الزاخر من نفائس الجواهر وبدائع السرائر)) [٤].

ومجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت ٨١٧ هـ) في كتابه (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) تعرض فيه لبيان الأهداف والمقاصد لسور القرآن ، وقال فيه : ((أذكر في كل سورة على حدة سبعة أشياء : موضع النزول ، وعدد الآيات ، والحروف ، والكلمات ، وأذكر الآيات التي اختلف فيها القراء، ومجموع فواصل آيات السورة، وما كان للسورة من اسم ، أو أسمين فصاعدا ، واشتقاقه ، ومقصود السورة ، وما هي متضمنة له ، وآيات الناسخ والمنسوخ منها ، والمتشابه منها)) [٥]. ودرس فيه مقاصد السور بشكل مفصل وشمل سور القرآن كلها . ونمثل له في بيان مقصود سورة البقرة ، قال : ((وعلى الإجمال

---

[١] - قطف الأزهار في كشف الأسرار ١ / ٣٧٥
[٢] - البرهان في علوم القرآن ١ / ٤٥
[٣] - البرهان في علوم القرآن ١ / ٤٧
[٤] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١ / ٩
[٥] - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١ / ٥٥ ، ٥٦

مقصود هذه السورة مدح مؤمني أهل الكتاب ، وذم الكفار ، كفار مكة ، ومنافقي المدينة ، والرد على منكري النبوة ، وقصة التخليق ، والتعليم ، وتلقين آدم))[١].

وبرهان الدين أبي الحسن البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) ، له في علم المناسبة كتاب سماه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) ، وجمع فيه المناسبات بين الآيات والسور. وعرّف في تفسيره هذا علم المناسبات : بأنه ((علم تعرف منه علل الترتيب ، وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب ، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب ، فعلم مناسبات القرآن علم منه تعرف علل ترتيب أجزائه ، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال)) [٢]. ونقل فيه قاعدة في معرفة المناسبة عن أبي القاسم المشدالي المغربي (ت ٨٦٥ هـ): ((الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة ، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات ، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب ، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له ، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عن الاستشراف إلى الوقوف عليها ، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع القرآن ، وإذا فعلته تبين لك -إن شاء الله - وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة سورة)) [٣]. ثم قال بعد تطبيقه لهذه القاعدة : ((وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها ؛ لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه .. ومقصود كل سورة هاد إلى تناسبها)) [٤].

وافرد مقاصد السور في كتاب سماه (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور) وقال فيه : ((لأجل اختلاف مقاصد السور ، تتغير نظوم القصص وألفاظها ، بحسب الأسلوب المفيد للدلالة على ذلك المقصد . مثال : مقصود سورة آل عمران: التوحيد ، ومقصود سورة مريم (عليها السلام) : شمول الرحمة ، فبدئت آل عمران بالتوحيد، وختمت بما بني عليه من الصبر ، وما معه مما أعظمه التقوى ، وكرر ذكر الاسم الأعظم الدال على الذات ، والجامع لجميع الصفات ، فيها تكريرا لم يكرر في مريم)) [٥]. وصرح فيه بقدم علم المناسبات القرآنية، وانتشاره بين الصحابة والتابعين ، واعتمادهم إياه في فهم آي الكتاب الحكيم ، فقال : ((هذا

---

[١] - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١ / ١٣٤
[٢] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١ / ٥ ، ٦
[٣] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١ / ١١
[٤] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١ / ١١ ، ١٢
[٥] - مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ١ / ١٥٢

يسير من إجمال ما فصله كتاب (نظم الدرر) ، وحصّله من أفانين البلاغة والسور . فذلك البحر الخضم ، والطود العالي الأشم ... وقد كان أفاضل السلف يعرفون هذا ، بما في سليقتهم من أفانين العربية ، ودقيق مناهج الفكر البشرية ، ولطيف أساليب النوازع العقلية ، ثم تناقص العلم حتى انعجم على الناس ، وصار إلى حد الغرابة كغيره من الفنون)) [١].

ووصف في هذا الكتاب علم المناسبات ، وذكر أصله وسره ، وحقيقته ، وبيان الداعي إليه ، وذكر ((إن هذا العلم الذي أفاض الله – وله الحمد – علي وأصله : بذل الرقة والانكسار ، والتضرع والافتقار ، لأدق العلوم أمرا ، وأخفاها سرا ، وأعلاها قدرا ؛ لأنه في الحقيقة إظهار البلاغة من الكتاب العزيز ، وبيان ذلك في كل جملة من جمله . فإن البلاغة – كما أطبقوا – مناسبة المقال مقتضى الحال . وهذا الكتاب لبيان الداعي إلى وضع كل جملة في مكانها ، وإقامة حجتها في ذلك وبرهانها ؛ لأن هذا العلم – على العموم – علم تعرف منه علل الترتيب)) [٢]. ويرى فيه : ((أن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها ، ويستدل عليه فيها ، فترتب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجه وأبدع نهج ، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل استدل عليه ... فإذا وصل الأمر إلى غايته ختم بما منه كان ابتداء ، ثم انعطف الكلام إليه ، وعاد النظر عليه ، على نهج بديع ، ومرقى غير الأول منيع)) [٣].

وزعم البقاعي في غمرة المناسبات : ((أنه لا وقف تام في كتاب الله ، ولا على آخر سورة **((قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ))** سورة الناس : ١ ، بل هي متصلة مع كونها آخر القرآن بالفاتحة التي هي أوله كاتصالها بما قبلها بل أشد)) [٤] ، والذي دعاه إلى هذا القول الغريب أنه تغلغل في هذا الأمر فلاح له أن بين السور من التناسب ما يجعل الارتباط بينها شديدا ، وإن ذلك يقتضي أن يكون الوقف هنالك غير تام ، يقول في مناسبة المعوذتين للفاتحة : ((قدم التعوذ الذي هو من درء المفاسد تعظيما للقرآن بالإشارة إلى أن يتعين لتاليه أن يجتهد في تصفية سره وجمع متفرق أمره ، لينال سؤله ومراده مما أودعه من خزائن السعادة بإعراضه عن العدو الحسود وإقباله على لولي الودود ، ومن هنا تعرف مناسبة المعوذتين بالفاتحة))[٥] .

وقال الطاهر بن عاشور في تقويم عمل فخر الدين الرازي والبقاعي : ((إنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع ، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع)) [٦].

---

[١] - مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ١ / ١٥٣
[٢] - مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ١ / ١٤١ ، ١٤٢
[٣] - مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ١ / ١٤٩
[٤] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١ / ٩
[٥] - نظم الدرر ١ / ١٢
[٦] - التحرير والتنوير ١ / ٨

وجلال الدين السيوطي (ت٩١١ هـ) وهو معاصر للبقاعي ، جعل النوع الثاني والستين للمناسبات في كتابه : (الإتقان في علوم القرآن) وأغلب ما فيه كلام الزركشي .

وعد في كتابه : (معترك الأقران) علم المناسبة فنا من فنون القرآن ووجها من وجوه إعجاز القرآن : ((والوجه الثالث من وجوه إعجازه: حسن تأليفه ، والتئام كلمه وفصاحتها ، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن ، فجاء نطقه العجيب وأسلوبه الغريب مخالفا لأساليب كلام العرب ، ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاءت عليه مقاطع آياته ، وانتهت إليه فواصل كلماته ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظيرا له)) [١].

وفي كتاب (قطف الأزهار في كشف الأسرار) اعتنى بعلم المناسبة ، قال عنه عبد الله بن محمد الصديق الغماري : ((وللحافظ السيوطي كتاب في أسرار التنزيل ، وصفه بأنه جامع لمناسبات السور والآيات ، مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة ، سماه : قطف الأزهار في كشف الأسرار)) [٢]. وفيه يذكر المناسبة بين السور بعضها ببعض، كما ذكر في سورة النساء [٣]. والآيات بعضها ببعض كما ذكر في قوله تعالى: **((وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ))** سورة الأنعام :٧ [٤]. والآية الواحدة ووجه الربط بين أجزائها ، كما ذكر في قوله تعالى: **((وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً))** سورة النساء :١٠١ [٥]. ويبين الفروق بين خواتيم بعض الآيات ، واستعمال لفظ معين في موضع ، ولفظ آخر في موضع آخر ، كما ذكر في قوله تعالى : **((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ))** سورة الأنعام : ٩٧ [٦]. ويذكر مناسبة ختم السورة التي يفسرها بالخاتمة التي ختمت بها كما ذكر في قوله تعالى : **((لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))** سورة المائدة :١٢٠ [٧].

وفي كتاب (تناسق الدرر في تناسب السور) قال في مقدمته : ((وقد أردت أن أفرد جزءا لطيفا في نوع خاص من هذه الأنواع ، وهو مناسبات ترتيب السور ليكون عجالة لمريده ، وبغية لمستفيده ، وأكثر ذلك من نتاج فكري ، وولاد نظري ، لقلة من تكلم في ذلك أو خاض في هذه المسالك . وما كان فيه لغيري صرحت بعزوه إليه ، ولا أذكر منه إلا ما استحسن ولا انتقاد عليه ، وقد كنت أولا سميته (نتائج الفكر في تناسب السور) لكونه من مستنتجات فكري

---

[١] - معترك الأقران ١ / ٢٣
[٢] - جواهر البيان في تناسب سور القرآن ١٥
[٣] - ينظر : قطف الأزهار في كشف الأسرار ٢ / ٦٧٩
[٤] - ينظر : قطف الأزهار في كشف الأسرار٢ / ٨٥٢
[٥] - ينظر : قطف الأزهار في كشف الأسرار٢ / ٧٤١
[٦] - ينظر : قطف الأزهار في كشف الأسرار٢ / ٩١٣
[٧] - ينظر : قطف الأزهار في كشف الأسرار٢ / ٨٣٧ ـ ٨٣٨

كما أشرت إليه ، ثم عدلت وسميته (تناسق الدرر في تناسب السور) ؛ لأنه أنسب بالمسمى وأزيد)) [١]. وفي النص السابق يبين السيوطي بشكل واضح أن مناسبات السور يقوم على الاجتهاد والاستنتاج . وافرد التناسب بين فواتح السور وخواتمها برسالة سماها (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع) ، وبين في مقدمتها المشتغلين بعلم المناسبة وقال : ((فإن من علوم القرآن العظيم : مناسبة السور ومقاطعها ، كما أوضحته في الإتقان ، وكتاب أسرار التنزيل ، وقد صرح بذلك المحققون كصاحب الكشاف ، وشيخه محمود بن حمزة الكرماني صاحب البرهان في متشابه القرآن ، والغرائب والعجائب في التفسير ، والإمام فخر الدين ، والأصبهاني ، وغيرهم)) [٢].

وعبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسني (ت ١٤١٣ هـ) تناول مناسبات السور على ترتيب المصحف حيث قال مؤلفه : ((أردت – بمشيئة الله تعالى – أن أبين في هذا الكتاب مناسبات سور القرآن الكريم بعضها لبعض ، حسب ترتيبها في المصحف ، وهذا فن عزيز ، قل من تعرض له من العلماء ، على كثرة من تعرض منهم لفنون القرآن المتنوعة))[٣]. وتكلم في مقدمة هذا الكتاب عن ثلاثة مسائل وقال في المسألة الثالثة : ((المناسبة علم شريف عزيز ، قل اعتناء المفسرين به لدقته ، واحتياجه إلى مزيد فكر وتأمل . وهو نوعان : أحدهما : مناسبة الآي بعضها لبعض بحيث يظهر ارتباطها وتناسقها كأنها جملة واحدة .. وثانيهما : مناسبة السور بعضها لبعض .. وهو أنواع ثلاثة : أحدها : تناسب بين السورتين في موضوعهما ، وهو الأصل والأساس . ثانيهما : تناسب بين فاتحة السورة والتي قبلها كالحواميم . ثالثها : مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها .. ويوجد نوع رابع من المناسبة ، وهو مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها)) [٤].

وعبد الحميد الفراهي الهندي (ت ١٣٤٩ هـ) قال في كتابه (دلائل النظام) : ((معرفة النظم في معاني الآيات والسور ، هو الموضوع لكتابنا هذا)) [٥]. وبين غرضه من هذا الكتاب فقال: ((الكلام لا يفهم إلا بعد معرفة تراكيب أجزائه ، وتناسب بعضه ، بل معاني الأجزاء أنفسها لا يطلع على المراد منها إلا بعد الإطلاع على جهتها التأليفية .. وبالجملة محال أن تفهم كلاما من دون أن تعلم نسبة بعضها إلى بعض ، فإن أخذت كل جزء طويل على حدته ، غاب عنك بعض معانيه ، ثم إن قصرت عن فهم نسبة أجزاء هذا الجزء ، غاب عنك طرف آخر ، حتى إنك تنقص من فهمك شيئا فشيئا ، بقدر ما تقصر عن فهم النسب التي بين أجزائه ، فإذا

---

[١] - تناسق الدرر في تناسب السور ٥٤ – ٥٥
[٢] - مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ١٢٣ – ١٢٤
[٣] - جواهر البيان في تناسب القرآن ٣
[٤] - جواهر البيان في تناسب سور القرآن ١٦
[٥] - دلائل النظام ١٢

تبين لك هذه النسب والروابط بين أجزائه ورأيت أنه كلام مربوط ، مسوق إلى عموده ظهر حسن بيانه)) [١] . وقد فرق بين المناسبة والنظام وقال : ((قد صنف بعض العلماء في تناسب الآي والسور ، وأما الكلام في نظام القرآن ، فلم أطلع عليه ، والفرق بينهما، أن التناسب إنما هو جزء من النظام ، فإن التناسب بين الآيات بعضها مع بعض ، لا يكشف عن كون الكلام شيئا واحدا مستقلا بنفسه ، وطالب التناسب ربما يقنع بمناسبة ما ، ويغفل عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام فيصير شيئا واحدا . وربما يطلب المناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتصالهما، والآية التالية ربما تكون متصلة بالتي قبلها على بعد منها ، ولولا ذلك لما عجز الأذكياء عن إدراك التناسب)) [٢].

وبعد هذا الاستعراض لنشأة علم المناسبة ولمن أهتم به نجدهم يبحثون في الربط بين الآيات أي ارتباط الآية بما قبلها وما بعدها ، والربط بين السورة أي بما قبلها وما بعدها :

١- المناسبة بين جزئيات الآية : ويكون فيه البحث عن مناسبة آخر الآية لأولها ، وهذا النوع مهم ، وأكثر كلام علماء المناسبة فيه كما هو الحال في تصانيفهم التي ذكرناها .

٢- المناسبة بين الآيات : وهو الربط بين الجمل المتجاورة في الآية الواحدة ، ومناسبتها للآية التي تقدمتها مما تخفى المناسبة بينهما .

٣- المناسبة في السورة بالجملة ، أي معرفة مقاصد السورة : ويكون البحث عن مناسبة اسم السورة لمقاصدها ، وبيان ربط أجزاء السورة بعضها ببعض حتى تصير كالبناء المتلاحم الأجزاء ، وهذا النوع يوقفنا على الغرض الأساسي الذي بنيت عليه السورة ، وارتباط الآيات بهذا المقصد والغرض ((وقد تكون المناسبات بينها وبين محور السورة ظاهرة جلية ، وقد تكون دقيقة خافية ، وكثيرا ما يكون التعرف على المناسبات بين المقاطع طريقا لمعرفة الهدف الأساسي من السورة أو المحور الذي تدور حوله السورة)) [٣].

٤ – المناسبة بين السور : ويكون فيه البحث عن مناسبة خاتمة السورة والتي بعدها ، أو فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها . أو البحث عن العلاقة الموضوعية بين السورتين .

---

[١] - دلائل النظام ١٦
[٢] - دلائل النظام ٧٤
[٣] - مباحث في التفسير الموضوعي ٤٣

نتائج البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، أحمده سبحانه على توفيقه وعونه ، فقد أنعم عليّ بأن أدرس (أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني) ، وكان من نتائج هذه الدراسة :

١ – في التمهيد وجد الباحث أن نشأة علم المناسبة بسيطة كأية نشأة لعلم من العلوم المرتبطة بالقرآن . وكانت أشهر رواية هي حادثة أن أخطأ أعرابي في ختام آية ، هذا ما وجدناه . ثم تطور هذا العلم على يد المفسرين ، فقد كانت هناك التمحات مع التفسير للإشارة إلى علم المناسبة . وقد بين الباحث أن هذه الآراء إذا جمعت وتحيزت من آراء التفسير في كتب المفسرين لكانت شيئا كثيرا يستوي إلى جنب عمل البقاعي والسيوطي بكتابيهما الذين لم يظفر هذا العلم لهما بمثيل .

٢ – وقد وجد الباحث أن للمناسبة أثرا في توجيه المعنى في الآية الواحدة من خلال توجيه العدول عن الأصل في الفاصلة سواء عُدل بالتقديم والتأخير ، أو بالحذف والزيادة أو في الجنس ، أو في العدد اللغوي ، أو في بنية الجملة .

٣ – وأشار الباحث إلى انقسام العلماء في بيان العدول إلى فريقين منهم من قال بأن أصل العدول جاء لرعاية الفاصلة . ومنهم من قال أن أصل العدول جاء لرعاية المعنى . ولا ضير من الجمع بين الرأيين لخدمة النص القرآني .

٤ – وقد وجد الباحث أن للمناسبة دورا كبيرا في بيان المعنى فيما يسمى بـ(مشكلات الفواصل) في القرآن ، وبيان التعلق بين مقطع الآية وفاصلتها . فقد يظن المتلقي غير المتمعن للنص القرآني عند استماعه لقراءة القرآن أنّ الآية ستختم بكذا لأنه الموافق لها ، وإذا بها تختم بما هو مخالف للمتوقع ، لمناسبة بلاغية تضفي مسحة جمالية في الآية بحيث يكسر النص توقعات المتلقي .

٥ – وقد وجد الباحث أن للمناسبة دورا في بيان المعنى في الآيات التي تتحد في السياق وتختلف في الفاصلة ، على مستوى السورة الواحدة ، أو السور المختلفة ، وهذا من التنوع في البلاغة وتجديد نشاط المتلقي للنص القرآني .

٦ – وقد وجد الباحث أن للمناسبة دورا في توجيه المعنى بين الآيات التي تتشابه في السياق وتختلف في بعض ألفاظها ؛ لأن اختلاف هذه الألفاظ ورد لمناسبة متعلقة بالسياق

القبلي للأية ، أي أنه يمهد المتعلقات لما سياتي بعد ، وفي بعض الأحيان بالسياق البعدي لها .

٨ – وقد وجد الباحث أن للمناسبة دورا لاشك في أهميته وثباته في بيان المعنى بين الأيات التي تتشابه في السياق وتختلف في التركيب من حيث التقديم والتأخير ، أو الذكر والحذف ، وهذا الاختلاف أيضا يتعلق بالسياق القبلي والبعدي .

٩ – وقد وجد الباحث أن للمناسبة دورا مهما في توجيه المعنى بين سورة وأخرى ؛ لأن اغلب آراء العلماء في أن ترتيب الآيات في السور بتوقيف من الله ، ولكنهم لا يتفقون بهذه الأغلبية على ترتيب السور . لذا يمكن عن طريق المناسبة بيان أن القرآن بين الدفتين هو قرآن اللوح المحفوظ .

١٠ – في ترتيب السور وتتاليها إعجاز بياني ، فما تتم السورة إلا وتمهد للسورة اللاحقة لها ، عن طريق الترابط اللفظي أو الترابط المضموني .

١١ – وقد وجد الباحث بناء على ما سبق في النتيجة السابقة ، وعلاوة على ما ذكره المفسرون ، وعلماء المناسبة أن في ترتيب السور وتتاليها وهي تناسب بعضها بعضا أن تتاليها بابا يضاف إلى أبواب الإعجاز البياني غير المتناهي ، وشاهد هذا التناسب (من خلال الترتيب الحالي) في الترابط اللفظي أو الترابط المضموني أو بكليهما معا .